

الأدب السابع حُسن الظن

إن الواجب على المسلم أن يحسن الظن بأخيه المسلم، وكيف ذلك؟ إذا كنت تعرف سلامة عقيدة أخيك، وسلامة فطرته، ومنشأه ومجتمعه الذي نشأ فيه، وعرفته من خلال دروسه ومؤلفاته، أو مشايخه وماذا قرأ عليهم، وهكذا عرفت خطبه ونصائحه وغير ذلك، وعرفت أنه على العقيدة السليمة والفضيلة المستقيمة فبذلك تحبه وتحسن الظن به. فإذا جاءك من ينقل لك عن أخيك فلان بأنه أخطأ في كذا، أو أنه قال كذا وكذا. فماذا يكون موقفك؟ إن هذا الناقل قد يكون من الوشاة الذين يسعون بين الناس فساداً، فعليك أن تقف من هذا الناقل موقف أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- فقال: إن فلانا قال كذا وكذا، وشاية ونميمة (ينقلها عن عمد). ماذا قال عمر -رضي الله عنه-؟ عرض عليه ثلاث خيارات، قال: إن كنت موشياً نحن نبحت، فإن كنت صادقاً، واعتذر عذرتنا، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت عفونا عنك، فقال: بل العفو أو كما قال. والنمام قد ذمه الله بقوله تعالى: { هَمَّازٍ مَنبُتٍ بِتَمِيمٍ } [سورة القلم الآية: 11]. والذي ينقل لك عن أخيك الصالح، أنه قال كذا وكذا، فالغالب أنه يكون نماماً، وقد ورد أن النمام معذب في قوله صلى الله عليه وسلم: { لا يدخل الجنة نمام } وفي رواية: { لا يدخل الجنة قتات } وهو النمام، وقال صلى الله عليه وسلم: { ألا أخبركم ما العضة؟ -وهو نوع من السحر- هي النميمة، القالة بين الناس! } فجعل النميمة من السحر أو شبيهاً بالسحر! فإذا جاءك إنسان ونقل إليك عن أخ لك مسلم محب مثبّت، فعليك أن تسيء الظن به، ثم إذا كان صحيحاً فعليك أن تحسن الظن بذلك القائل، وتلتمس له عذراً أياً كانت تلك المقالة، فتقول: لعل له عذراً، لعل عذره كذا وكذا، روى عن بعض السلف أنه قال: لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً، فلو كان لها محمل واحد خير، وعشرة محامل شر، فأحملها على محمل الخير لأنك تحسن الظن بصاحبها، وتعرف أنه من أهل الخير والنصيحة والمودة، وأنه لا يتعمد أن يزلّ أو يطعن في مسلم، وأن يكفر مسلماً، أو يقترب ذنباً. وإذا كانت هذه حالة المسلم فإن الواجب على المسلم أن يحسن الظن بإخوانه المسلمين، وليس حسن الظن خاصاً بالدنيا؛ بل يجب حسن الظن أيضاً في أمور الآخرة، فمن عقيدة المسلم أن يكون حسن الظن بربه، فيظن بربه خيراً، أنه يغفر له ويعفو عنه سيئاته، ويكفر عنه خطاياها، ويرفع درجاته ويجزل مثوبته، ونحو ذلك. فعلى المسلم أن يحسن الظن بإخوته، فيظن بهم الظن الحسن الذي يؤدي بهم إلى الخير، ويدفعهم إليه ويدلهم على ما فيه خير لهم، وما فيه صلاح لهم والاستقامة عليه، هذا من الآداب الشرعية، فمتى كان المسلمون كذلك استقامت حالتهم، واجتمعت كلمتهم. فإن الكثير من الوشاة إذا حسدوا إنساناً أخذوا يلتمسون في كلامه عثرة أو ذلة فربما قطعوا جزءاً من كلامه وحملوه محملاً بعيداً ليطعنوا بذلك في عقيدته أو في دينه ويتناسون إحسانه وفضله كما قيل: صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا إن يسمعوا شيئاً طاروا به فرحاً وما سمعوا عني من صالح دفنوا وقال آخر: ينسى من المعروف طوداً شامخاً وليس ينسى ذرة ممن أسى